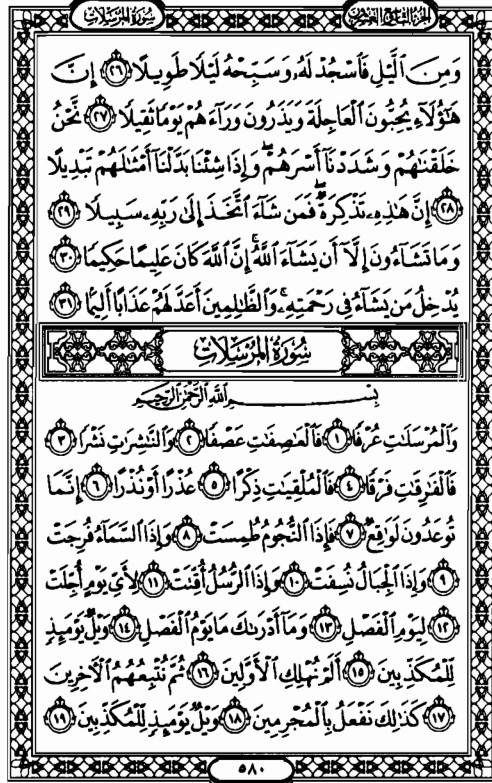


معانى الكلمات :

- بكرة وأصيلا : أول النهار وآخره .
ثقيلا : شديد الأحوال .
وشددنا أسرهم : أحكمنا خلقهم .
والمرسلات عرفا : قسم بريح العذاب متتابعة .
فالعاصفات عصفا : الرياح الشديدة الهبوب المهلكة .
والناشرات نشرا : الملائكة تنشر أجنحتها .
فالفارقات فرقا : الملائكة تأتى بالوحي فرقانا بين الحق والباطل .
فالمלקيات ذكرا : الملائكة تلقى الوحي إلى الأنبياء .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نستشعر قدرة الله المحيطة ، وإرادة الله الطليقة .
- ٢ - أن نعلم بعض ما يقع في يوم الفصل .
- ٣ - أن نتعرف على مصارع الغابرين وما تشير إليه من سنن الله في المكذبين .

المحتوى التربوي :

يمضى السياق فيذكر الاتصال بالله ذكراً وعبادة ودعاء وتسبيحا ليلا طويلا، فالطريق طويل، والعبء ثقیل ولا بد من الزاد الكثير والمدد الكبير ، وهو هناك حيث يلتقى العبد بربه في خلوة وفي نجاه ، وفي تطلع وفي أنس تفيض منه الراحة على التعب والضنى ، وتفيض منه القوة على الضعف والقلّة ، وحيث تنفض الروح عنها صفائر المشاعر والشواغل ، وترى عظمة التكليف ، وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت ، وما تلاقى من أشواك الطريق ، والله رحيم كلف عبده الدعوة ونزل عليه القرآن ، وعرف متاعب العبد ، فلم يدع نبيه ﷺ بلا عون أو مدد .

يقول صاحب الظلال : « الحقيقة التي ينبغى أن يعيش فيها أصحاب الدعوة إلى الله هي هذه الحقيقة التي لقنها الله لصاحب الدعوة الأولى ﷺ ؛ هي أن التكليف بهذه الدعوة تنزل من عند

الله فهو صاحبها ، وأن الحق الذى تنزلت به لا يمكن مزجه بالباطل الذى يدعو إليه الآثمون الكفار ، فلا سبيل إلى التعاون بين حقها وباطلهم ، أو الالتقاء فى منتصف الطريق بين القائم على الحق والقائمين على الباطل ، فهما نهجان مختلفان ، وطريقان لا يلتقيان ، فأما حين يغلب الباطل يفوته وجمعه على قلة المؤمنين وضعفهم لحكمة يراها الله ، فالصبر حتى يأتى الله بحكمه ، والاستمداد من الله والاستعانة بالدعاء والتسبيح ليلا طويلا : هى الزاد المضمون لهذا الطريق ، إنها حقيقة كبرى لا بد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق .

ثم يمضى السياق فى تأكيد الافتراق بين منهج الرسول ﷺ ومنهج الجاهلية ، بما يقرره من غفلتهم عن رؤية الخير لأنفسهم ، ومن تفاهة اهتماماتهم ، وصغر تصوراتهم ، فهؤلاء القريبى المطامح والاهتمامات ، الصغار المطالب والتصورات ، هؤلاء الصغار الزهيدى الذين يستغرقون فى العاجلة ، ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ، ثقيلا بتبعاته ، ثقيلا بنتائجه ، ثقيلا بوزنه فى ميزان الحقيقة ، إن هؤلاء لا يطاعون فى شىء ولا يتبعون فى طريق ، ولا يلتقون مع المؤمنين فى هدف ولا غاية ، وتوحى الآية بغفلتهم عن رؤية الخير لأنفسهم ، فهم يختارون العاجلة ، ويذرون اليوم الثقيل الذى ينتظرهم هناك بالسلاسل والأغلال والسعير بعد الحساب العسير .

يتلو ذلك التهوين من أمرهم عند الله الذى أعطاهم ما هم فيه من قوة وبأس ، وهو قادر على الذهاب بهم وتبديل غيرهم منهم ، ولكنه يتركهم لحكمة يجرى بها قدره القديم ، وهذه اللفتة تذكر هؤلاء الذين يعتزون بقوتهم بمصدر القوة ، بل مصدر وجودهم ابتداء ، وتطمئن المؤمنين الضعف إلى أن هو واهب القوة هو الذى يتسبون إليه ، وإذا شاء أتى بقوم آخرين غيرهم ، وهذه السورة تذكرهم فمن شاء اهتدى بالقرآن ، ولا يقدر أحد أن يهدى نفسه ، ولا يدخل فى الإيمان ولا يخرج لنفسه نفعا ، فهذا كله ينتهى إلى قدر الله الذى يلجأ إليه الملتجئ ، فيوفقه إلى الذكر والطاعة ، فإذا لم يعرف فى قلبه حقيقة القدرة المسيطرة فلا هدى ولا ذكر ، ومن ثم فهو يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، فمن يهده فلا مضل له ، ومن يضل فلا هادى له ، والظالمون قد أملوا وأمهلتهم لينتهوا إلى هذا العذاب الأليم .

سورة المرسلات

الله سبحانه يقسم فى مطلع هذه السورة على أن هذا الوعد بالآخرة واقع ، وصيغة القسم توحى ابتداء بأن ما يقسم الله به هو من مجاهيل الغيب ، وقواه المكنونة ، المؤثرة فى هذا الكون وفى حياة البشر ، وقد اختلف السلف فى المرسلات ، فقال بعضهم : إنها الرياح مطلقا ، وبعضهم : أنها الملائكة مطلقا ، وبعضهم : إن بعضها يعنى هذا وبعضها يعنى هذا ، وهذا الغموض أنسب شىء للقسم بها على الأمر الغيبى المكنون فى علم الله ، وأنه واقع ، ويأتى القسم بالملائكة المرسلة

أرسالا متوالية ، كأنها عرف الفرس في إرسالها وتتابعها ، ثم بالرياح الشديد الهبوب ، بالملائكة تنشر أجنحتها في الجو عند انحطاطها بالوحي أو هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء ، ثم يأتي القسم بالملائكة ؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل وتلقى إلى الرسل وحيا فيه إعدار إلى الخلق وإنذار .

ونحن نلمح أن التهويل بالتجهيل ملحوظ في هذه الأمور المقسم بها ، وأن هذا الخلاف في شأنها دليل على إبهامها ، و كل مقطع من مقاطع السورة بعد ذلك هو هزة ، كالذى يمسك بخناق أحد فيهزه هزاً ، وهو يستجوبه عن ذنب ، أو عن آية ظاهرة ينكرها ، ثم يطلقه على الوعيد والتهديد ، وبعد ذلك تأتي الهزة العنيفة بمشاهد الكون المتقلبة في يوم الفصل الذى هو الموعد المضروب للرسول لعرض حصيلة الرسالة في البشرية جميعا ، فيوم تطمس النجوم فيذهب نورها وتفرج السماء أى تشق ، وتنسف الجبال فهى هباء ، وإلى جانب هذا الهول في مشاهد الكون ، تعرض السورة أمراً عظيماً آخر مؤجلاً إلى هذا اليوم ، هو موعد الرسل لعرض حصيلة الدعوة ، ولأى يوم أجلت وأرجئ أمرها ؟ ليوم الفصل ، وفي التعبير تهويل لهذا الأمر العظيم يوحى بضخامة حقيقته حتى لتتجاوز مدى الإدراك .

ويأتى الإنذار المخيف من العزيز الجبار في مواجهة الهول السائد في الكون ، والجلال المائل في مجلس الفصل بمحضر الرسل ، وهم يقدمون الحساب الأخير في الموعد المضروب لهم ، هذا الإنذار في هذا الأوان له طعمه ، وله وزنه ، وله وقعه المزلزل الرهيب ، ثم يعود بهم السياق من هذه الجولة في أهوال يوم الفصل ، إلى جولة في مصارع الغابرين الأولين والآخرين ، هكذا في ضربة واحدة تتكشف مصارع الأولين وهم حشود وفي ضربة واحدة تتكشف مصارع الآخرين وهم حشود ، وعلى مد البصر تتبدى المصارع والأشلاء ، وأمامها ينطلق الوعيد ناطقا بسنة الله في الوجود بأن هذا ما يفعله الله بالمجرمين ، وهى السنة الماضية التى لا تحيد .

وبينا المجرمون يتوقعون مصرعا كمصارع الأولين والآخرين، يجرى الدعاء بالهلاك ، ويجيء الوعيد بالشبور للمكذبين ، فويل لهم من عذاب الله غدا .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - كل شيء في هذا الكون يتم بإرادة الله تعالى ، وليس هناك من يستطيع أن يخرج عن مشيئة الله وقدره .

٢ - تعظيم الله - تعالى - لملائكته الذين لا يعصونه في أمر ، وتعظيمه للرياح .

٣ - سنن الله في الكون لا تتخلف ، فكما أهلك الله الأمم السابقة لتكذيبهم الرسل ، فهو يهلك الكافرين الذين كذبوا محمداً ﷺ .

معاني الكلمات :

- مهين : ضعيف حقير .
 كفاتا : وعاء تضم الأحياء على ظهرها .
 رواسى شاحات : جبالا ثوابت مرتفعات .
 ماء فراتا : حلوا عذبا .
 ظل : هو دخان جهنم .
 ثلاث شعب : يتفرع منها ثلاث فرق .
 بشرر كالقصر : كل شرارة منه مثل البناء المرتفع .
 جمالة صفر : إبل صفر كثيرة سريعة الحركة .



الأهداف الإجرائية والسلوكية :

- ١ - أن نتعرف على قدرة الله الطليقة .
- ٢ - أن نعلم مصير المجرمين في الآخرة .
- ٣ - أن نعلم مصير المؤمنين المتقين .

المحتوى التربوي :

من الجولة في المصارع والأشلاء إلى جولة في الإنشاء والإحياء مع التقدير والتدبير للصغير ولل كبير ، وهى رحلة مع النشأة الجنينية طويلة عجيبة ، يجملها السياق هنا في لمسات معدودة ، ماء مهين يودع في قرار الرحم المكين إلى قدر معلوم وأجل مرسوم ، وأمام التقدير الواضح في تلك النشأة ومراحلها الدقيقة يجمى التعقيب الموحى بالحكمة العليا التى تتولى كل شىء بقدره في إحكام مبارك جميل ، وأمام التقدير الذى لا يفلت منه شىء يجمى الوعيد المعهود بالويل للمكذبين في يوم القيامة .

يقول صاحب الأساس : « ومن تكلم (عن القرار المكين) الدكتور الطيب (خالص كنجو) فى كتابه : (الطب محراب للإيمان) الجزء الثانى ... ومن كلامه فى هذا البحث : « إن القرآن تحدث ببعد لغوى لم يكن فى وقته فى الواقع من التشريح والفيزيولوجيا ، وعلم النسيج ، وعلم

التوليد الطبيعي والمرضى ، وعلم النسائية ومع تفتح الإمكانات وكشف أسرار الجسم لوحظ أن الآية ذات تحقيق خالد حقا على العديد من المستويات ولنحاول الآن أن نتناول وحدات من البحث ، ونغوص في درجات البحث العلمى بهدوء .

تصفيح عظمى : لنحاول إلقاء نظرة تشريحية لنعرف قرار الرحم الفراغى ، إن الرحم يمكن اعتباره من الوجهة الفراغية في منتصف الجسم تمامًا طولاً ، وعرضاً ، وعمقاً ، وهكذا فهو يتلقى الحماية من كافة الجهات ، غير أن هناك حماية مهمة على مستوى الحوض ، حيث إن مكونات الحوض هي عظم العجز والعصعص بالخلف ، ومن الجانبين والأمام يوجد عظامان هما عظام الحرقفة ، هذا العظم هو حلقة الاتصال ما بين العمود الفقري في الأعلى والعجز بالخلف ، وعظم الفخذ من الأسفل وهو ما يسمى بالزنار الحوضي ، وهنا ملاحظتان :

الأولى : أن هذا العظم يحمى الرحم تماماً ، ويكون جوفاً يستقر الرحم فيه بحماية من كافة الجوانب .

والثانية : أن هذه الحماية يجب أن تتلاءم مع وظيفة أخرى وهى التناسب مع شكل الجنين ؛ لأن أية زيادة طفيفة في الطول ، أو الارتفاع ، أو العمق أو الثنيات والحفر يجعل دخول الجنين وخلاصه مستحيلاً .. » .

ثم تأتى جولة في هذه الأرض ، وتقدير الله فيها حياة البشر ، وإيداعها الخصائص الميسرة لهذه الحياة ، ألم يجعل الأرض كفاتاً تحتضن بنيتها أحياء وأمواتاً ، وجعل فيها جبلاً رواسى ثابتات شاخت أرسى بها الأرض ؛ لئلا تميد وتضطرب ، تتجمع على قممها السحب ، وتنحدر عنها مساقط الماء العذب ، أف يكون هذا إلا عن قدرة وتقدير ، وحكمة وتدبير ؟ أبعد هذا يكذب المكذبون ، فويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره .

ثم ينتقل السياق فجأة إلى موقف الحساب والجزاء فنسمع الأمر الرهيب للمجرمين المكذبين ، ليأخذوا طريقهم إلى العذاب الذى كانوا به يكذبون في تأنيب مرير وإيلام عسير ، فانطلقوا بعد الارتهان والاحتباس في يوم الفصل الطويل ولكن إلى أين ؟ إنه انطلاق خير منه الارتهان ، انطلقوا فما هو ذا أمامكم حاضر مشهود ، انطلقوا إلى ظل لدخان جهنم تمتد ألسنته في ثلاث شعب ، ولكنه ظل خير منه الوهج ، فهو ظل خائق حار لافح ، وتسميته بالظل ليست إلا امتداداً للتهكم ، وغمية بالظل تتكشف عن حر جهنم ، انطلقوا .. وإنكم لتعرفون إلى أين ، وتعرفونها هذه التى تنطلقون إليها ، فلا حاجة إلى ذكر اسمها ، فهى ترمى بشرى يتتابع في حجم البيت من الحجر ، وهذا الشرر إذا تتابع بدا كأنه جمال صفر ترتع هنا وهناك ، هذا هو الشرر فكيف بالنار التى ينطلق منها الشرر ؟ ! وفى اللحظة التى يستغرق فيها الحس بهذا الهول ، يجرى التعقيب المعهود بالويل يوم القيامة للمكذبين .

ثم يأخذ في استكمال المشهد بعد عرض الهول المادى في صورة جهنم ، بعرض الهول النفسى الذى يفرض الصمت والكظم ، فالهول هنا يكمن فى الصمت الرهيب ، والكبت الرعيب ، والخشوع المهيب ، الذى لا يتخلله كلام ولا اعتذار ، فقد انقضى وقت الجدل ومضى وقت الاعتذار ، ولا يبقى إلا الويل للمكذبين ، وفى مشاهدة أخرى يذكر حسرتهم وندامتهم وحلفهم ومعاذيرهم ، واليوم طويل يكون فيه هذا ويكون فيه ذاك ، ولكنه هنا يثبت اللقطة الصامته الرهيبة ، فهذا يوم الفصل لا يوم الاعتذار ، وقد جمعنا والأولين أجمعين ، فإن كان لكم تدبير فدبروه ، وإن كان لكم قدرة على شىء فافعلوه ، ولا تدبير ولا قدرة ؛ إنما هو الصمت الكظيم على التائب الأليم ، والويل للمكذبين .

فإذا انتهى مشهد التائب للمجرمين ، اتجه الخطاب بالتكريم للمتقين ، فالتقون فى ظلال ، ظلال حقيقة فى هذه المرة ، وفى عيون من ماء لا فى دخان خانق يبعث الظمأ الحرور ، ولهم من سائر أنواع الثمار ، مهما طلبوا وجدوا ، وهم يتلقون فوق هذا النعيم الحسى التكريم العلوى على مرأى ومسمع من الجموع ، فيقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم ، ويا لطف هذا التكريم من العلى العظيم ، والويل للمكذبين يوم القيامة يقابل هذا النعيم والتكريم .

وهنا تعرض فى خطفة سريعة رقعة الحياة الدنيا التى طويت فى السياق ، فإذا نحن فى الأرض مرة أخرى ، وإذا التيكيت والترذيل يوجهان للمجرمين ، وهكذا تختلط الدنيا بالآخرة فى مشهدين معروضين كأنهما حاضران فى أوان ، وإن كانت تفرق بينهما أزمان وأزمان ، فبينما كان الخطاب موجها للمتقين فى الآخرة ، إذا هو موجه للمجرمين فى الدنيا ، وكأنها ليقال لهم : اشهدوا الفارق بين الموقفين ، وكلوا وتمتعوا قليلا فى هذه الدار ، لتحرموا وتعذبوا طويلا فى تلك الدار .

ثم يتحدث معجبا من أمر القوم ، وهم يدعون إلى الهدى فلا يستجيبون مع أنهم يبصرون هذا التبصير وينذرون هذا النذير ، والذى لا يؤمن بهذا الحديث الذى يهز الرواسى وبهذه الهزات التى تزلزل الجبال ، لا يؤمن بحديث بعده أبداً ، إنما هو الشقاء والتعاسة والمصير البائس ، والويل المدخر لهذا الشقى المتعوس الذى همه الأكل والمتاع ، الراض الخضوع لله والصلاة له ، الذى لا يؤمن بالقرآن ويكذب بيوم الدين ، ويكذب بخلق الله الأشياء ، ويكذب بالرسل عليهم الصلاة والسلام .

ما ترشدنا إليه الآيات تربوياً :

١ - من يكذب بالقرآن لا يمكن أن يصدق بشىء آخر .

٢ - قدرة الله المحيطة بالإنسان مدعاة للإيمان .

٣ - لا عذر للناس عند الله فى كفرهم وعدم تصديقهم لما أخبرهم به ربهم على السنة الرسل من غيب .